إضاءة

في «لعنة المالينشِه»، الصادر لدى دار «خطوط وظلال» في عمّان، تقدّم المترجمة الفلسطينية الأردنية غدير أبو سنينة مختاراتٍ تسعى إلى فتح صفحة جديدة من شعر أميركا اللاتينية أمام القارئ العربي. شعراء شباب في الأغلب، منشغلون بثيمات وقضايا تختلف عما ميّز شِعر سابقيهم المعروفين نسبياً في الثقافة العربية

صفحة جديدة من شعر أميركا اللاتينية

غدير أبو سنينة مترجمة في أرض الأزتيك والمايا

محمد الأسعد

تحت عنوان «لعنة المالينشه»، صدرت عن دار «خطوط وظلال» (2020) مختاراتٌ من شعر أميركا اللاتينية. العنوان من اختيار المترجمة الفلسطينية المقيمة في نيكاراغوا غدير أبو سنينة، وهو اسم امرأة من سكّان المكسيك الأصليين، عملتْ مترجمةً لدى الإسبان، غزاة المكسيك ومدمّري آخر حضاراتها المعروفة باسم حضارة الأزتيك، فاعتبرها كثيرون من شعبها خائنةً، وأصبحت لعنةً بالنسبة إليهم، لاقتران اسمها - كما تقول المترجمة - بحُب الغرباء والانبهار بهم.

ومع ذلك، تذهب المترجمة إلى أن «بعضهم يعتبرها أمّ الأمّة المكسيكية»، إثر إنجابها لطفلة يُنظر إليها كبذرة الاختلاط بين العرقين، الإسباني والأهلي. من هنا يأتي اعتقاد غدير أبو سنينة بأن ترجمتها لهذه المختارات لعنةً أصابتها هي أيضاً، يصعب التخلّص منها.

يبدو أن هذا الربط بين الترجمة والخيانة مصدرُه تلك المقولة الذائعة بأن «الترجمة خيانة» على وجه الإطلاق. ولكنّ هذه المالينشه - واللقب إسبانيّ - لا تختصر فعل الترجمة، ولا غاياته التي هي في هذه الحالة خدمةً للمستعمرين الإسبان. فالترجمة اسمى من ذلك بكثير؛ إنها فعلُ مقاومٍ ومحرّر في الماضي والحاضر، وإنّ كان لها، مثل أي ظاهرة إنسانية، وجهُها المعتم حين تصبح أداةً بيد الغزاة الهمج، كما كان حال غزاة المكسيك، الإسبان.

بعد هذا التقديم لمعنى العنوان، تلمّحُ المترجمة، بإشاراتٍ بسيطة وسريعة، إلى مكانة الشعر والكتابة في لغات المكسيك الأصلية، بدليل «تكرار كلمات دالّة على الكتب والمكتبات والشعر والغناء والنشيد». وتذكر أن الأزتيك اطلقوا على الشعر تعبير «وَرْد ونشيد»، ووصفوه بأنه «مرآة الله على الأرض»، واعتبروا الشاعر «وسيطاً بين الناس والكون». وتذكر معلومةً فريدة من نوعها، وهي أنّ لدى هذا الشعب أسطورةً متداولة مفادها «أن الطيور هي المبتكر الحقيقي للشعر».

هذه اللمحات وأمثالها بالغةُ الأهمية، وكان من المفترض التوسّع فيها وإثراء المقدمة بما هو أهمّ من حكاية المرأة المترجمة، بل واختيار عنوان للمجموعة من تعابير مبدعةٍ كهذه؛ أيّ وضع أساس تاريخيّ لما سنقرأ من قصائد مترجمة، ليس لشعراء من المكسيك، بل لعدد من شعراء بلدان أميركا اللاتينية أيضاً.

وحين نبدأ قراءة القصائد، تلفت النظر عنايةُ المترجمة بذكر أسماء البلدان الأصلية، وترجمة ما تعنيه أحياناً. فاسم المكسيك الأصلي هو تشتيتلان، واسم الهندوراس هو هونتولها، في حين أن كاراتاجو هو اسم كوستاريكا. أمّا معنى اسم بلدٍ مثل باراغواي فهو «نهر الطيور الملوّنة»، ومعنى اسم الأرجنتين الأصلي هو «نهر الفضة». هذه العناية تُشير، كما نعتقد، إلى أمرين قد لا يكونان من بين مقاصد المترجمة.

الأوّل، أن تغيير غزاة أميركا اللاتينية لأسماء هذه البلدان يرمز إلى فعل الاغتصاب الذي تعرضت له، بشراً وموارد طبيعية. والثاني، أنّه يُلقي ضوءاً على سبب بروز تضاريس هذه الأرض، وثقافتها الأصلية، في شعر كبار شعرائها، تعبيراً عن وعيهم بشرايينها النازفة، بحسب تعبير إدواردو غاليانو (1940-2015).

باستعراض أسماء شعراء المختارات وبلدانهم، مع تذكّر التاريخ الطويل نسبياً من الترجمات العربية لأدب هذه البلدان، شعراً وروايةً ونقداً، يُحسَب للمترجمة أنها اختارت غالبية شعرائها من جيل شابّ مولود أواخرَ القرن الماضي. أيّ أنها تفتح صفحة جديدة، بعد أن ظلّ الوسط الثقافي العربي يقلّب طويلاً صفحات أجيال أقدم. وأحسنت هذه الصفحة الجديدة على شعراء أكثرهم من المكسيك، ثم من تشيلي والأرجنتين وكولومبيا وأوروغواي، فكوستاريكا وهندوراس؛ والإطلالة على شعراء هذين البلدين الأخيرين تحدث لأوّل مرّة، على حدّ علمنا، في اللغة العربية.

حول طبيعة هذا الشعر واتجاهاته بمختلف تضاريسه، نلاحظ قلّةَ احتفائه بملامح المكان التي تعدّ من مميزات شعر الأجيال الأقدم. في الماضي، كانت قصائد بابلو نيرودا (تشيلي)، مع أنها منفتحة على آفاق أبعد من آفاق بلده، معبّئةً بحمل رائحة تراب تشيلي، ولم تبتعد قصائد خوخي لويس بورخيس (الأرجنتين) عن ألوان وأساطير وسماوات بلده. في شعر غالبية هؤلاء الشبان يطغى التصوير الذهني، وتقلّ ملامح التشكيل الملموس، مع استثناء شاعرين اثنين، هما دينيس أفيلا من هندوراس، والشاعرة أمبر باست من المكسيك.

الظاهرة الأكثر لفتاً للنظر في شعر بعض هؤلاء الشبان هي تردّد ما يشبه الحنين إلى أصول عربيّة غائمة. مثلاً، يأتي ذكر فلسطين في إحدى قصائد خوخي بالمَا، من أورغواي، وهو الأشهر بين شعراء جيله: «أن تكون على قيد الحياة لايعني أنك حيّ محمود درويش كان حياً في عمّان ورام الله لكنّه مات وهو يحلم بالبروة والجليل حيث كانت طيوره حية او ميتة».

كما ترحل الشاعرة باولا بالبيردة البير، من كوستاريكا، إلى لبنان في قصيدة تحت عنوان «حرب»:

«سيارة تعبر
تبتلّ
تقتحم الأبعاد الحزينة لشرفتي
كلّ طفولة ضد الزنك هي طفولةٌ
ليست بهذا البعد
وها هي الرُعبُ هنا
تعطي لبنان صورةً أكثر شاعرية».

بالطبع، سيجد القارئ في بعض هذه المختارات اصداءً يحفل به تاريخ أميركا اللاتينية من صفحات النضال المرّ ضد الظلم والإهمال والفقر والتعاسة، وصنوف الشقاء ونُظُم الاستبداد والانقلابات التي خلقتها غزواتُ جيوش الاحتكارات الأجنبية، بدءاً من شركة الفواكه المتحدة الأميركية ووصولاً إلى شركات البترول، كما تمثّله خير تمثيل قصائد خورخي بالما:

«بقيتُ
صامتاً ومضروباً
مدفوناً وأنا حيّ
مرجوماً بحجارتي
مطروداً من سمائي
مفترىً عليّ ومغفوراً لي
دون أن ارتكب أيّ ذنب
عانيتُ من البرد تماماً كالملائكة
على الأرض
عانيتُ من أجل أن تكون أو
لا تكون لي أجنحة».

إلّا أن هذه الأصداء ليست بقوة وعنفوان ما كانت تزخر به قصائد الأجيال الأقدم. أو ربما لأن مترجمة هذه المختارات لم تقصد أن يكون عملها شاملاً لأكبر عدد ممكن من الاتجاهات الشعرية في قارّة ثريّة، إلى درجة لا يمكن تخيُّلها، بتنوّعها الثقافي والبشري ومناخاتها الفكريّة التي تتموّج بها.

(شاعر وروائي وناقد من فلسطين)

اعتبر الأزتيك أن الطيور هي المبتكر الحقيقي للشعر

يتردّد في المختارات حنينٌ إلى أصول عربيّة غائمة

غدير أبو سنينة (الياس رطروط)

أُم المكسيك ولعنتُها

ترجمة: غدير أبو سنينة
لعنةُ المالينشه

تروي المترجمة، في مقدّمة مختاراتها، حكاية المالينشه (واسمها مالينالي او مالينسين، لكن الغزاة الإسبان سمعوها كذلك لسهولة النطق) التي لعبت دورا اساسيا، كمترجمة، أثناء وصول هرنان كورتس، الشهر الغزاة الإسبان، الى شواطئ المكسيك. انجبت المالينشه من كورتس طفلا يرى فيه البعض بذرة عرق جديد. كما تُطر إليها كأمّ للمكسيك. لكنّ هذا لن يشفع لها امام من اعتبروا قربها من كورتس لعنةً تسببت بهزيمة اهل البلاد.

سيرة

صحافية ومترجمة فلسطينية أردنية من مواليد عام 1980. حاصلة على الماجستير في اللغة الإسبانية وآدابها وبكالوريوس في اللغة الفرنسية. هاجرت عام 2004 إلى نيكاراغوا التي تقيم فيها حتى اليوم. ترجمت نصوصاً لمئات الشعراء من أميركا اللاتينية والعالم الهسباني، كما ترجمت نصوصاً لعدّة شعراء عرب إلى الإسبانية.

ونالت ككاتبة «جائزة ابن بطوطة» لأدب الرحلة عن كتابها «إخوتي المرّيخيون بالريش» (2016). وحاضرت حول الثقافة والأدب العربيين والقضية الفلسطينية في ملتقيات وجامعات عديدة في إسبانيا وأميركا اللاتينية.

من إصداراتها في الترجمة إلى العربية: «خان القوافل» - أنطولوجيا شعرية مكسيكية باللغتين العربية والإسبانية (2014)، و«مختارات شعراء عرب من أصول أميركولاتينية» (2017)، و«كتاب الجرف الحزينة» لميغيل مالدوناذو (2016)، و«مسرح العالم الكبير» لأوغستو رودريغس (2019)، و«زهرة إلى سان فرانسيسكو دي أسيس» لفرانسيسكو دي أسيس فرناندس (2020)، و«لعنة المالينشه» - مختارات من شعر أميركا اللاتينية (2020).

كما ترجمت إلى الإسبانية أعمالاً من بينها: «نشيد المورو» - مختارات لأربعة شعراء عرب (2015)، «طبول الرب» - مختارات للشاعر فخري رطروط (2017).

إطلالة

منسوجاً بنول الحرفة

سومر شحادة

يعرف الكُتّاب أنّ ميدان القص هو ذاكرة البشر، سواء تلك الخاصة بهم كتّاباً، أو تلك التي تعود إلى جماعات يكتبون عنها ويعيشون معها، فالذاكرة تشكّلُ خزاناً للحكايات التي يعيدُ الكُتّاب إحياءها.

في الذاكرة يجدُ الكاتب شيئاً ما كي يرويه؛ إنّ حكايةً ما تتجسّد في الكلمات وتخرج إلى الملأ. لكن ما يثيرُ الكاتب، لا الذاكرة بوصفها خزّاناً لأحداث ومواقف منتهية، وإنّما المصائرُ التي تبدأ من نقطة بعيدة في الماضي، حيثُ يأخذ الروائي على عاتقه، أن يفكك الحاضر وصولاً إلى اللحظات البعيدة، وأن يعيدَ اكتشاف ذلك الماضي. وفي إعادة التركيب تُصْنَعُ الشخصية عبر تصوير سياق نموّها. بذلك يؤكد كاتبٌ على ما يجعل شخصيةً ما، تعاني من رُهاب الفِقدان بأن يشيرَ إلى فقدانٍ قديم عرفتهُ تلك الشخصية. وعندما يشيرُ إلى نزوع واحدة من شخصياتهِ إلى التخلّي عن الآخرين، فيعود في ماضيها ويشيرُ إلى تخلٍّ كبير كانت الشخصيةُ قد عانت منهُ. حتى تصيرَ الشخصيات مُقْنِعَة، ينبغي أن يعودَ الكاتب إلى ذاكرتها، أن يبحثَ عمّا قادها إلى الصورة التي آلت إليها؛ إذ إنّ مجال الكاتب، لا الواقع الذي تتحرّك فيهِ الأحداث وحسب، وإنّما ما قاد إليهِ أيضاً. وكيف تجسّد؟ بأي تصوّراتٍ وأية أساليب. مِن طرق الفنّ كي يكون مقنعاً ومؤثرًا، أن يبني الأسباب ومن ثمّ يقود إلى النتائج.

لكن مجال الذاكرة لا يرتبط بالبشر فقط، وإنّما في علاقاتهم مع الأشياء التي تحيطُ بهم، ونادراً ما تُخالف الشخصيات التي نقرأها طبيعة الأشياء التي نعرفها. حتى في أكثر النصوص غرابةً، سرعان ما تندرجُ الشخصيات في إطار الممكن والملموس لمنطق الأشياء. في «التحوّل» لكافكا بعد أن وجد غريغور ساماسا نفسهُ قد تحوّل إلى حشرة ضخمة، تابع كافكا الحديث عن حشرة، لا عن إنسان. وصارت الرواية حكاية لتأقلم الحشرة العملاقة مع الأثاث في الغرفة الضيقة، وهذا أمرٌ ممكن التخيّل ومعقول الإدراك. كذلك في رواية «أليس في بلاد العجائب» للويس كارول (1832- 1898) عندما وجدت أليس نفسها في عالم يبدو فيهِ كلّ شيءٍ غريباً، وغير مألوف؛ إذ اعتقدت ما إنْ كَبُرَ حجمها وخرجت يدها من النافذة بعدما ملأت زوايا بيت السيد الأرنب؛ بأنّها تعيش في حكاية قرأتها ضمن كتاب. إذاً حتى عندما يخرج الأدب عن كلّ مألوف بصورةٍ لا يمكن إدراكها، فإنّه لا يزعم المجيء من الواقع، بل يزعم المجيء من حكايات مُتخيلة. لذلك عندما وجدت أليس نفسها في مكان، لا يوجد ما يشبهه في ذاكرتها الواقعية بحثت عن قصة كانت قد قرأتها في الماضي، كي تنتمي إليها. ثمّ في النهاية يجعلُ لويس كارول المنام مرجعيّة كاملة للحكاية، والتي عادت عندئذٍ لتندرج ضمن منطق الأشياء من جديد.

يهتم الكاتب بالطرق التي يستطيع من خلالها إدراج حكاياتهِ في ذاكرة المتلقي، وذلك عبر بناء الشخصيات النفسي وتصوير علاقاتها مع ما يحيطُ بها. ثمّ ما هي الفنون، سوى تلك الماكينة التي تعيدُ إلى البشر ما تأخذه منهم، لكنها تعيدهُ منسوجاً بنول الحرفة.

(كاتب من سورية)

تذكَّروه عندما تبنون جسوراً خرسانية

قصائد من لعنة المالينشِه

الشاعر الهندوراسي دينيس افيلا (خوليا هينريكس)

كان يمشي على قدميه في هذه الشوارع

إرنستو كاردينال
لِنكاراغوا (1925 - 2020)

كان يعبرُ الشارعَ ماشياً على قدميه
دون عمل، دون نقود.
الشعراء والعاهرات والمذنبون فقط
قرأوا قصائده.

لم يُهاجر يوماً
كان معتقلاً.
هو ميت الآن
ليس له أيّ أثر...

لكن
تذكّروه عندما تبنون جسورا خرسانية،
مُحرّكاتٍ ضخمة، جرّارات، ومخازن فضّة،
وحكوماتٍ رشيدة.
لأنّه ظهَر في قصائدهِ لغة قومه،
التي سيكتبون بها يوماً عُقود التِّجارة،
الدستور، رسائل الحب،
والقرارات.

أفعال متوارثة

دينيس أفيلا
هندوراس (1981)

I

من شجرة العائلة
أعرف
بضع حوافٍ
من أغصانها.
أرواحٌ مجهولة
منحت الشجرة كل شيء
مضبوطاً على أطرافها.

II

بعد أن كان عاملاً في منجم
جدّي لأبي
خَرَسَ مدرسة
لثلاثين عاماً
وحين كان ينام
كان يتحوّل لكلب
كي لا يجرؤ الطلّاب
على القفز عن الجدار الذي يحمي
اختباراتهم.
في يوم موته
هبط ساحرٌ من الجبال
وفتح فمه
ليبتلع قوّة الرجل
الأبسط في العالم

III

جدّتي لأبي
ماتت بين يدي
كانت طيبة
كضفائرها البيضاء.
كانت قديسة
بعيب واحد
التردّد المتواصل على المشافي.
وحين ماتت
ولعدّة أشهر
كنت أرى كتبي ملقاة على الأرض
الأثاث ليس في مكانه
المزهريات محطّمة
وصنبور مياه الاستحمام يدور
في منتصف الليل.
في عدّة مناسبات
كانت روحها تجلس بجانبي
في السرير
وتراقب نومي.
عاشت معنا منذ زمن
ولم تشا قط
الخروج
من ذلك البيت.

IV

لم أعرف جدّي الآخر
كان قد قُتل عام ألف وتسعمائة
وستة وسبعين.
كان قتله الطريقة الوحيدة
لكتم
ثورته.
رجل ذو بصيرة

(قصائد مختارة من «لعنة المالينشه»، ترجمة عن الإسبانية: غدير أبو سنينة)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

فعاليات

ينظّم **المركز الثقافي الإيطالي** في تونس العاصمة مساء اليوم بثاً مباشراً على صفحته في موقع فيسبوك للعرض الكوريغرافي **فيلينيانا** الذي يقام في مسرح **غالو** في مدينة ريميني الإيطالية. العمل من إخراج **مونيكا كاسيداي** ويقوم على مسرحة عوالم المخرج الإيطالي فيديركو فيلليني (1920 - 1993).

تُخصّص مبادرة **فلسفة بالبلدي** (مصر) نشاطها الشهري لموضوع **الراي العام**، وذلك يوم غد الخميس، بدءاً من الثامنة مساء. ينطلق النقاش من محاضرة تلقيها **نهى سالم** عبر فيسبوك، ومن ثم يجري تناول ثلاثة محاور: هل يمكن تكوين راي خارج نطاق خبرتنا الشخصية؟ في حال اجمع الناس على فكرة، هل يعني ذلك انها صحيحة؟ هل يتعلّق الراي العام بمسالة تهم كل الناس بالضرورة؟

ضمن سلسلة **نساء فنانات** التي ينظّمها متحف **دار إي ديستوار** الفرنسي، تلقي غداً استاذة الفنون التشكيلية **باللوما موان** محاضرة افتراضية بعنوان **الفن: الجسد باعتباره مادة**، حيث تتناول بالدرس اعمال فنانات معاصرات مثل: جينا باني، ومارينا ابراموفيتش (الصورة)، وآنا مندييتا، ويانا شتيرباك.

ينظّم **مركز خليل السكاكيني الثقافي** في رام الله، مساء اليوم، ورشةً عبر تطبيق زوم، حول صناعة البودكاست بعنوان **الصوت والنشر**، يقدّمها كل من هبة عفيفي وشهد بني عودة ومحمد خريزات. من المواضيع المطروحة: استخدام المؤثرات الصوتية، والمزج النهائي للاصوات، وكيفية إنشاء قناة بودكاست.